عقلية الجزائري و أفعاله
محاولة لرصد صورة الجزائري المشخصة في اليومي

فكروني زاوي -جامعة جيلالي ليابس .

يطرح الجانب الفكري والمعرفي للفاعلين، منظومة من الإشكاليات، وتركيبة معقدة من التحديات. وفي عمق هذا الجانب، بأبعاده الإشكالية، يأخذ مفهوم العقلية، بمكوناته الثقافية وبنيته المعرفية، صورة مركبة تتقاطع فيها مختلف تمظهرات العالم الاجتماعي .وإذا كانت العقلية - أو كما يسميها البعض بالذهنية - تشكل جوهر هذه التحديات ومنطلقها، فإن دراستها وتحليل مقوماتها ورصد مضامينها، يشكل اليوم واحدا من أهم التحديات المنهجية التي تواجهها – عموما - سوسيولوجيا المعنى حاليا.
فعلى خلاف ما كان شائعا في البحوث المتعلقة بمواضيع الهوية مثلا. أصبح اليوم موضوع الممارسة و الفعل و السلوك الاجتماعي لا يتغيا التدقيق و الاستقصاء فحسب، بل يتغيا كذلك التأمل الواصف المثير للسؤال. السؤال حول ما أعتبر لمدة طويلة كتمظهرات عامة و بسيطة لأثر عوامل و بنى قبلية للأفراد، و الحق أن تلك التمظهرات أصبحت تبدو اليوم للكثير من المهتمين بشؤون الهوية أكثر تعقيدا مما كان يعتقد . مما جعل بعض الباحثين يتناولون العقلية أو المنظومة المعرفية أو الذهنية بوصفها مدخلا منهجيا (1) لفهم ممارسات و سلوكات الفاعلين وتحليل مكوناتها ورصد مقومات وجودها و استمراريتها.

من هنا أكتفي بتقديم خطاطة عامة قد تشكل – في نظري- منطلقا لبحث و نقاش أكثر تدقيقا و تخصصا. لكنها خطاطة يقتضيها سياق حقل بحثي متجدد، يتصل بأسئلة الفعل الاجتماعي و الممارساتي لمجتمع أصبح في الفترة الأخيرة محل تفكير و مساءلة من نوع مغاير.. وبداية لمنطلقات منهجية أخرى لفهم طبيعة هذا المجتمع و مسار انطلاقه، لأن العقلية تمثل البنية الوجدانية الأعمق التي تجعلنا أكثر قدرة على فهم المجتمع الجزائري ودراسة تمظهرات أفراده السلوكية و الممارساتية. من هنا ينبغي أن نتساءل: كيف نفهم الجزائري؟ ومن أي زاوية ابيستمولوجية و منهجية نلج فضاءاته ؟ في أي سياق، و داخل أي أفق يمكننا فهم الجزائري فهما صحيحا بعيدا عن مقاربات التلفيق أو التوفيق؟

أسئلة ضرورية و هامة، إذا ما أردنا استشراف مقاربة مغايرة لموضوع قيل فيه الكثير، و عليه سوف نتناول موضوع عقلية الجزائري كما تتبدى من خلال دراسات جزائرية و أجنبية و لكن كذلك من خلال ملاحظات ميدانية و لقاءات شخصية شاءت الصدف أن تكون لب تجربة سوسيولوجية خصبة من حيث الدلالة.

1 – حول مفهوم العقلية :

يقول**"آلفين توفلر"**، في كتابه المعروف صدمة المستقبل، مشددا على البنية المعقدة لمفهوم العقلية "*إن كل شخص يحمل في داخل رأسه نموذجا ذهنيا للعالم، أي تصورا ذاتيا للعالم الخارجي، ويتكون هذا النموذج الذهني من عشرات فوق عشرات من ألوف الصور*"(2) . إنها نمط ذهني من التصورات الذاتية للعالم تساعد الإنسان على تحقيق تكيفه مع عناصر الوجود وتجعله يمتلك نمطا كليا من التفكير يعتمده في النظرة إلى خصائص الوجود.

لذلك يعد مفهوم العقلية من المفاهيم المراوغة في ابيستمولوجيا العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولاسيما تلك المتعلقة بمضامين التفكير و الأنساق القيمية المؤطرة للفعل الاجتماعي، ويتجلى هذا في تعدد استخدامات هذا المفهوم في العديد من البحوث و الدراسات ولاسيما الأنثربولوجية منها. ويضاف إلى ذلك كله أن هذا المفهوم يستعمل كمصطلح عام للدلالة على مميزات و وضعيات مختلفة و متداخلة في سواء في اللغة الفصحى أواللغة العامية، وهذا من شأنه أيضا أن يضاعف من تعقيدات الإشكالية الأبيستمولوجية التي يطرحها هذا المفهوم.

يشير مفهوم العقلية(3) Mentalité إلى تكوينات معقدة واعية وغير واعية، شعورية وغير شعورية، حاكمة للسلوك و الفعل، كما يحيل عند البعض(4) لنظام مركب من مشاعر وأفكار وتمثلات وقيم و تصورات... التي تجعل جماعة أو فرد تتصرف إزاء وضع أو حالة على نحو معين، وتنظر إلى العالم برؤية خاصة، وتحكم و تقدر الوجود و وجودها بشكل محدد يفرضه ذلك النظام بمؤثراته المختلفة.

ولو حاولنا أن نحدد الجوانب الأكثر وضوحا في هذا النظام الخفي، علينا أن نميز في مفهوم العقلية هذه المستويات(5):

- منطلقات التفكير التي يعتمدها الفرد في تحليل معطيات الوجود.
- منظومة التصورات والمفاهيم والعقائد التي تشبع بها الفرد وتبلورت في أعماقه بصورة لاشعورية.
- آليات السلوك وأنماط الاستجابات الحياتية التي يعرف بها الفرد أو الجماعة.
- النزعة الداخلية التي تحرك الإنسان لاتخاذ موقف من عناصر الكون على نحو كلي.

كما يجب علينا أن نميز في هذه المستويات، أن كل مستوى ينطوي على جانب شعوري وآخر لاشعوري. وغالبا ما تكون الجوانب اللاشعورية(6)أكثر أهمية من الجوانب الشعورية في بنية العقلية.

لذلك يعتبر الحديث عن العقلية تجاوزا للحديث عن العقل المحض الذي هو تلك الفاعلية الإدراكية والتجديدية التي يتعامل بها الإنسان مع محيطه، ومن ثم فان مفهوم العقلية في التداول المستعمل في هذا المقام، لا يعني معنى محددا، ولكنه يومئ إلى جملة معان تتعدد على نحو تقريبي بالذهنية الاجتماعية وبمستواها الثقافي وارتقائها المعرفي ومزاجها ودرجة استجابتها لوتيرة الحركة المتسارعة التي تتفاعل بها جماعة معينة مع وجودها الاجتماعي و مع إرثها القيمي والأخلاقي.

2 – تمثيلات العقلية الجزائرية:

قبل البدء في تحليل ما نفترض أنه عقلية الجزائري، يجب الاعتراف بأن أي طرح هو في الأصل مجرد نوع من المقولات المجردة .فمن المؤكد أنه توجد عقليات متفردة و استثنائية، لكن و في نفس الوقت، توجد مجموعات متفردة و متميزة، ومع ذلك فإننا معتادون على التكلم عن "المجتمع الجزائري" وأن ننتج في نفس الوقت معارف جديدة تؤكد تباينات هذا المجتمع الجزائري.

إن الطرح المجرد الذي نجازف بالخوض فيه- سواء أكان حول العقلية أم المجتمع الجزائريان -يمكن الوصول إليه عن طريق عمليات تعميمية. فعندما نقول بأن الجزائري هو الشخص المكابر و سريع الغضب، فإننا نلجأ إلى اختزال لفظي تعميمي،تؤكده ملاحظات عينية و متكررة لسلوك عدد معين من الجزائريين مثلا. وعلى أساس هذا التعميم يمكن للمرء في المقابل أن يقول بأن الجزائريين (والذي هو في الأصل مفهوم مجرد) يتصفون بالمكابرة و سرعة الغضب، وبالمثل فعندما يجازف الباحث بإعطاء رأي حول ميزة عقلية محددة لأي فئة اجتماعية فإنه يقوم بأمرين معا: التعميم والتجريد.

و مع هذا يجب التذكير أن نمط "العقلية السائد" الخاص بأي مجتمع هو منظومة معرفية تتشاركها مجموعة بشرية مكونة من أعضاء، هي في الأصل نتاج للخبرات مشتركة. ولا يتطابق ذلك مع شخصية الفرد بل مع أنظمة تكوين الشخصية لديه والتي تعتبر عنصرا أساسيا في تكوين بنيته الإعتقادية.

إن ما يمكن أن يكون مشتركا لجماعة ما، هو خاصة مميزة، أو مجموعة من الخصائص المميزة، يشير إليها علماء الانثروبولوجيا و الفلكلور عندما يتكلمون عن السمة الثقافية أو النموذجية للمجتمع أو جماعة فرعية. وبالمناسبة، فإن مصطلح "نموذجي" هو مستعار من علم الإحصاء (حيث يشير إلى قيمة أو رقم يحدث بتواتر شديد في سلسلة معطاة من الأحداث)، يرينا بأن السمة الموصوفة بذلك هي فقط السمة الأهم من الناحية الإحصائية في الجماعة المدروسة، وليس بالضرورة لدى الأغلبية.

وعليه فالمبدأ الأساسي للدراسات المتعلقة بالسمة النموذجية أو الثقافية يتمثل في ملاحظة أن الأفراد الذين يترعرعون في بيئة مشتركة يبدو عليهم عامل مشترك قوي

في شخصياتهم وذلك بعيدا عن ذكر اختلافاتهم الفردية .ولا يمكن تحاشي كون هذا الأمر هو القضية الرئيسية، فأي حقل اجتماعي ثقافي يطبع الأفراد الذين يعيشون ضمنه بطابعه الخاص من حيث :القيم، وأنماط السلوك، ونمط الحياة وما تتقبله وتوافق عليه من الأنماط المختلفة لآلية الفعل ورد الفعل، بالإضافة إلى رغباتها وأهدافها الموجهة ثقافيا.

إن قيمة مصطلح عقلية الجزائري- مع تعيين حدوده ومؤهلاته - كأداة في أي بحث علمي، وكمحاولة لرسم صورة مشخصة له ، تعززها حقيقة كون فكرة العقلية موجودة- ولو بصورة مبهمة -في وعي الجزائريين أنفسهم . ومع انتشار الدعوات الفئوية في كافة المجالات الاجتماعية ، فإن الناس في كل مكان اكتسبوا عادة التفكير بأنفسهم على أنهم أعضاء في فئة ما وأنهم يتشاركون صفات ثقافية محددة تميزهم .

لكن كيف يمكن لنا معرفة هذه السمة النموذجية أو العقلية التي يشترك فيها الجزائريون؟ أو عل الأقل تحديد بعض الصفات التي يمكننا من خلالها فهم تجليات هذه العقلية؟ بدون الوقوع في خطأ التعميم العبثي الذي قد يثير حساسية البعض...!.

في الواقع أننا خلال بحثنا عن دراسات تناولت هذا العنصر وجدنا ثلاثة دراسات جزائرية و دراسة فرنسية حول – ما يمكن تسميته مجازا- العقلية الجزائرية(7)، و إن اقتصرت في معالجتها على الخطاب الثقافي من خلال الأمثلة الشعبية، أو التاريخ الثقافي الجزائري. و إن كنا نؤمن بأن عقلية الجزائري هي امتداد للعقلية العربية في قالبها العام، فإننا في نفس الوقت نأخذ بعين الاعتبار خصوصية المجتمع الجزائري من حيث التكوين و التجربة و القدرة على الفهم و التكيف الفكريين مهما كان مستواهما. لهذا اعتمدنا في معالجتنا للموضوع على تجاربنا الشخصية و تجارب غيرنا، بالإضافة إلى بعض الإشارات التي وردت في تلك الدراسات و أبحاث أخرى قام بها جزائريون و أجانب.

لكن هل هناك عقلية جزائرية ؟ وهل يمكن تجاوز التباينات الاجتماعية والثقافية واللغوية بين الجماعات communautés المكونة للمجتمع الجزائري، لتوصل إلى المشتركات العامة فيما بينها؟ و الجواب حسب اعتقادنا نعم؟ ببساطة لأن الجزائري يتكون من مركب تتمازج فيه مكونات كثيرة متنافرة ومتناغمة ،متقاربة ومتباينة، تاريخ وصورة مصطنعة للتاريخ، سياسة وعلاقات تسييس، التفرد و التماثل، طريقة خاصة في التعبير، لغة الجسد مميزة، التلويح بالأيدي، طريقة الكلام، الصياح، الصراخ، الضحك، إلقاء النكت، الدهاء، البوح، إمساك الكلام، الحزن الدفين، الفرحة

لأقل شيء ،الألم الذي يعتصر القلب، والذي يجلب الضغط و السكري، التأقلم السريع بكل صوره، العنف بكل أشكاله، الطيبة والسماحة، الغلظة والفظاظة، التوتر الكامن و المستمر، فقدان الأمن والأمان، المكابرة والتعفف، الخرافة و العملية، المزاجية و التطلب، الكره والمحبة، حب الوطن وأمل الهجرة، التدين والمجون، الفردية و الجماعية، الهمة و الاتكالية، التدني في الذوق ومحاولة التمسك بالرقي في المعاملة والفن، حب المال وما جلبه من مصائب ومن غنائم، انعكاسات التغيرات في مظاهر الشوارع والقرى، الهوائيات المقعرة. كل هذا وأكثر مما لا يتسع له المجال يشكل القاعدة الرئيسية لخارطة عقلية الجزائري .

الجزائري انبساطي بطبعه وهو أيضا انطوائي، بمعنى آخر أن الظرف و السياق يخلق جوه النفسي العام من فرح ومرح وابتهاج، كذلك فإن الظرف يجعله يحزن ويكتئب وقد ينبسط وينطوي في فترة زمنية قصيرة(8) ، فقد يضحك على المحزن ولا يبالي بالذي يدعو للترقب والحذر. "*يبدو من تلك الملاحظات العامة أن الإنسان الجزائري بدأ، أو عله فعلا فقد تلك الانبساطية التلقائية، أو عله بالفعل فقد منظومتها الداخلية الدقيقة فترك نفسه نهبا لما يحدث حوله، يستسلم له، ينهش فيه، فيضحك إما سخرية من الآخرين، أو من نفسه، وقد يضحك في أسى أسود، وقد ينبسط ويضحك عليا، لكن لفترات محدودة، في محاولة للشفاء من أمراض المجتمع وتوحش العلاقات الإنسانية حوله، وكذلك التشبث الشديد بالماضي أو الحلم الغريب بالمستقبل المزدهر الذي ـ يمكن ـ أن تستمر فيه الانبساطية أطول، وتكون فيه الانطوائية مجرد انعطافة .* (9)"

الجزائري عاطفي، رومانسي في آماله وأحلامه، رومانسي جدا في حبه لجزائر أخرى يرسمها تصور تاريخي، ورغم خيبة الأمل يتمسك، أو يحاول التمسك بهذه الرومانسية، و الجزائري قليل الصبر، ييأس بسرعة، يمل بسرعة، يفقد صبره بسرعة، يتألم بسرعة، ينزعج بسرعة، يفرح بسرعة وتنطفئ الفرحة لديه بسرعة. يكره اجترار أحزانه وأفراحه، ينفجر فجأة، و يهدأ فجأة، يكره الأشياء المعقدة و يحب البساطة، يخاف المستقبل ويخشاه ويعمل له ألف حساب، في داخله إحساس دفين بعدم الأمن والأمان، ولا يثق في الآخرين بسهولة على الرغم من أنه ـ أحيانا ـ قد يصدق، رغبة في التصديق، أو رغبة في الهروب.و هو في كل حالاته متطلب وكثير الشكاية(10).

الجزائري طموح، يسعى ويجتهد ويبتكر وينفعل، لكنه - أحيانا ما- يصاب بالبلادة المميتة، رغبته في تحقيق ذاته عالية، وإذا ما اصطدم بالظروف والعقبات يلوم الحظ و ويلوم الآخرين ويلوم القدر، عزيز النفس لا يقبل الإهانة من أحد مهما كان. و هو لا يعمل بجد إلا بإكراه أو تحت مراقبة(11) و إن أراد العمل فهو يحقر العمل

اليدوي(12) كما أنه يكره العمل عند الغير و يعتبره استغلالا و عبودية(13).و في المقابل يفضل العمل الحر.

الجزائري يتفاعل مع البيئة المحيطة ويشارك فيها، يحتضن الآخر ـ غير الجزائري ـ خاصة في مجالات الفن، يقدره ويحترمه لكنه لا يتمكن من أن يغفر له الخطأ الجسيم تحديدا إذا كان في حق كرامته، علاقته ببلاده علاقة شوفانية يعتز بها أمام الأخر، و يحقرها أمام الجزائري، يبالغ في اعتزازه و يبالغ في تحقير جزائريته وبلاده. في المناسبات يعبر للعالم عن اعتزازه بجزائريته. يقدس الأسرة وتماسكها، لكنه في نفس الوقت عملي و قناص الفرص لا يتوانى في مجابهة المستحيل إذا رأى في ذلك مصلحته(14) .

و الجزائريون يشتركون في منظومة من المعتقدات و التصورات والسمات التي تظهر جلية في تفاعلات الحياة اليومية، هذا الاشتراك يكمن في ازدواجية الرؤية(15) ينميها ويغذيها المجتمع والعادات والتقاليد، والنظرة الأخلاقية(16) المؤطرة برؤى دينية و عرفية، والتناول المثالي للواقع المعاش المبني على نظرة ماضوية(17)، وهي أيضا تلك المشتركات التي تنظم وتبسط العالم الاجتماعي، فتظهر نسق القيم وسلوكات الجزائريين في عملهم و تعاملاتهم مع بعضهم البعض و مع الآخرين. لذلك نجد الجزائري لا ينظر إلى القانون وجها لوجه، تلك هي حيلته البصرية.أما احترامه للقانون كما انتهاكه يتم ضمن سلوكان متداخلان و متشابكان مع نفس النظرة و نفس الحيلة. يحترم الجزائري السلطة و التراتب بشكل مبالغ فيه، لكنه حينما ينتفض فإنه يأتي على كل ما يرمز لها.

و الجزائري هو كائن إشكالي و تجزيئي، يعاني من تمفصل بين الزمن المدرك و الواقع المعاش، فهو يتعامل مع الواقع المعاش وفق مفاهيم وتصورات وقيم ثابتة ومطلقة، حيث يزحف الماضي إلى الحاضر ويعيد إنتاج نفسه في تصور المستقبل، لذا نجد للجزائري كلماته السحرية الجاهزة و الصالحة لكل المواقف و لكل الأحوال مثل " موالفة و لا تالفة " " المعتاد عليه و ليس المبتدع" " عادي" و غيرها من الكلمات التي هي بمثابة السحر الذي يعالج كل شيء، أي لا شيء.

3 – مكونات عقلية الجزائري:

في الواقع أنه يمكن لكل متفحص متمرس للممارسات اليومية للجزائريين في مختلف السياقات، أن يهتدي إلى ثلاثة مكونات ثقافية متمحورة حول ثلاثة سمات، تمثل في الأصل لب العقلية الجزائرية. تتمثل هذه السمات الثلاثة، في التعلق و التشبث بقيم العدالة- الكرامة (العزة)، البحث عن إنتاج أوضاع و حالات ضبابية تحول دون العمل بالقواعد المحددة للمسؤوليات، و الأخيرة تتمثل في الأهمية المعطاة لمختلف صلات الانتماء الاجتماعي(الجنس، الفئة الاجتماعية، المحل، المستوى التعليمي...).

فنزعة الجزائريين لتفضيل قيم المساواة-الكرامة تترافق مع نزعة رفض هيمنة الغير، و هي نزعة نجد أسسها في الثقافة الشعبية اللفظية التي تمجد الحرية و تمثل الانصياع التام للتوجيهات بصفة البلاهة. و مع هذا فهناك من الوقائع ما يدفعنا إلى التحفظ على ذلك، بحيث أن تلك السمة تشير إلى وجود سمة أخرى معاكسة وهي الأبوية paternalisme و التي وجدنا أنها تتجسد من خلال:

- ✓ اعتقاد الجزائريين بأن الراعي عليهم (اب، مسؤول ، رئيس..إلخ) هو المسئول عن أفراحهم و أقراحهم ، عن نجاحاتهم و عن إخفاقاتهم...
- ✓ أولوية الصلات الشخصية على المحددات الموضوعية في تقييمهم وتعاملهم مع الراعي.

أما حالات الضبابية فهي تظهر جليا من خلال رفض الجزائريين للقواعد الدقيقة و الواضحة التي من شأنها تحديد المسؤوليات، و النزوع إلى اعتماد قواعد مبهمة في سير حياتهم سواء العادية أو العملية .كما تظهر أيضا من خلال الاستعمال الأداتي للقواعد المعتمدة سواء من حيث احترامها أو انتهاكها.

تمثل هاتين السمتين (الأبوية و الضبابية) الأرضية الخصبة لنمو السمة الثالثة المتمثلة في الأهمية المعطاة لصلات الانتماء الاجتماعي في التموضع الاجتماعي.

قد يبدو الأمر بهذا الاستعراض سلسا و سهلا. لكن إذا ما عمقنا التحليل، فإننا سوف نجد حتما أن حقيقة وجود سمات التعلق بقيم المساواة- الكرامة، الأبوية و قيم الانتماء الاجتماعي، تكمن في أن اندماجها يشكل كل أو مركب فريد يمثل صلب عقلية الجزائري مهما كانت خصوصيته. و نحن نؤكد كل التأكيد على هذا الطرح، لأن ارتباطها مع بعضها البعض ينتج مجموعة كبيرة من السلوكات و الممارسات القابلة للملاحظة العينية على كل جزائري سواء داخل الجزائر أو خارجها.

فهذا المركب الفريد له القدرة على توجيه – بدرجات متباينة – كل الجزائريين بدون استثناء مهما كانت أصولهم الاجتماعية و مستوياتهم التعليمية، نحو شكل معين من الممارسات و السلوكات و في طريقة تفكيرهم و تقديرهم لمختلف الأوضاع المتواجدين بها.

يمكننا إيجازها في ما يلي:

- ✓ ترسخ مشاعر اللاعدل و فكرة المؤامرة، و ارتباطها بنمط من التفكير الانفعالي، من سماته تغليب الجزء على الكل، وغياب النقد الذاتي، وإطلاق الواقع، و الانغلاق ضمن أحكام نمطية.
- ✓ النزوع إلى تهميش المبادرة و الفاعلية و الاكتفاء بالحد الأدنى في أداء الأنشطة.
- ✓ النزوع إلى تقدير الغير على أساس الالتزام الأخلاقي و ليس الكفاءة. و ارتباطها بنوع من الميل إلى المحاكمة .

- ✓ النزوع إلى التنصل من المسؤوليات و إلقائها على الغير.
- ✓ النزوع إلى عدم إظهار أي نوع من أنواع الالتزام. و الاكتفاء بالمواقف الظرفية و الوسطية.

خلاصة:

لعل الخلاصة التي يمكن يصل إليها القارئ من خلال تتبعه هذا الرصد لبعض تجليات العقلية الجزائرية، سواء من خلال دراسات باحثين و مهتمين أو من خلال ملاحظاتنا الشخصية المستقاة من صلب تجربتنا الحياتية، أن هناك تناقضا صارخا يلف هذه العقلية. فمن جهة هناك مؤشرات على مكامن الإبداع و المبادهة والمغامرة نحو آفاق أكثر عمقا وأصالة، و من جهة أخرى تنتصب نزعات و مواقف المجانفة للتغيير والابتكار. فكيف نقرأ هذا الوضع؟

لا شك في أن المجتمع الجزائري بحكم حيثياث و ظروف سوسيوتاريخية، يعيش مرحلة البحث عن الذات، لكن في ظرف و زمن لا يتناسب مع ذهنيته و أسس منظومته المعرفية، فعقليته هي في الواقع، خلاصة تعايش نكد لعدة مكونات قيمية و معيارية متناقضة و متضاربة، تتجلى و تتجسد في مجموعة من السلوكات و المواقف و الاتجاهات المشوشة التي لا تستطيع استيعاب العالم المعاصر و حركته السريعة في كليته، و إنما في جزيئياته.

مما يجعلنا نتحدث عن ثلاثة أنماط من الاستجابات التي تجسد صلب العقلية الجزائرية. فمن جهة أول يعكس التشبث بالهوية الأولية القائمة على الاستمداد من الأصول التابثة كـ الاثنية و المحل، باعتبارهما مصدرين للقوة و الدعم. و الثاني يعكس بداهة التكيف و التأقلم مع المستجدات و الفرص، فالحياة بالنسبة للجزائري مثل لعبة الشطرنج حيث يكون هو قطعها و من يلعبها في نفس الوقت، و هو يدرك هذا، لذا فلكل وضعية هناك استجابة نمطية جاهزة. وبين الأول و الثاني يقع النمط الثالث الذي يعكس نزعة التوفيق بين المتناقضات، و هي استجابات يمكننا تصنيفها ضمن نوع من " الانتهازية الإستراتجية"(19). التي عنوانها البارز " القادر على القادر" أو باللهجة الجزائرية " طاق على من طاق".

و الحق أن هذه الأنماط الثلاثة للاستجابات هي التي تشكل اليوم المشهد الجزائري في كل مستوياته و مجالاته، بما في ذلك نزعة الثراء و تسلق المراتب، نزعة التسلط و العنف، و أخيرا نزعة اقتناص الفرص و تحرر من كل القيم. في الحقيقة أن الجزائري هو انعكاس صريح و وفي للواقع المعاش و المدرك بكل تناقضاته و مفارقاته. إنه كيان توليفي لكل الأزمات و التشوهات النفسية و الاجتماعية و المعرفية لجزائر أخرى. جزائر يسميها "جمال غريد" بجزائر الاستثناء(18) .

المراجع و الهوامش:

1 - مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، بيروت 1989 ص 58 .

2 - توفلر آلفين : صدمة المستقبل، المتغيرات في عالم الغد. ترجمة محمد علي ناصيف. الطبعة الثانية، نهضة مصر، القاهرة، 1990، ص160 . عن **وطفة على أسعد** : الجمود و التجديد في العقلية العربية . مكاشفات نقدية . وزارة الثقافة .الهيئة العامة السورية للكتاب رقم 54 2007 .ص 11 .

3 - لقد شهد مفهوم العقلية ولادته العلمية في مطلع القرن العشرين على يد الأنتروبولوجي **ليفي برول** Levy Bruhl Lucien –(1857-1939) في كتابه ":1910 Les fonctions mentales inférieures dans les sociétés . ثم في كتابه 1922.La mentalité primitive . كما يعرف معجم **"لالاند"** العقلية بأنها "مجمل الاستعدادات العقلية وعادات التفكير والاعتقادات الأساسية لفرد ما "ومفهوم العقلية كما يبين "لالاند "هو مصطلح يستخدمه بعض الكتاب للإشارة إلى الوقائع أو الحالات الداخلية للفرد .

4 - J.Copin : Genèse de l'histoire des mentalités, Sciences Humaines, N4, Juin - Juillet, 1989- pp 12- 16.

5 - وطفة على أسعد : الجمود و التجديد في العقلية العربية . مكاشفات نقدية . وزارة الثقافة .الهيئة العامة السورية للكتاب رقم 54 2007 .ص 12 .

6 - Mucchielli. Alex : Les mentalités, Que sais-je, P.U.F., Paris, 1984.pp 74 – 75.

7 - نقصد دراسة **أحمد نعمان**: سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنتربولوجيا النفسية . المؤسسة الوطنية للكتاب. 1988. و دراسة **عبد الحميد حفري** : فرانز فانون: بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتباته .مطبوعات الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 . و دراسة **سليمان عشراتي**: الشخصية الجزائرية ،الأرضية التاريخية و المحددات الحضارية .ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 2007 . و كتاب **شريط عبد الله** : معركة المفاهيم . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . الطبعة الثانية . 1981 . و **Bourdieu Pierre & A. Darbel, J.-P. Rivet& C. Seibel:** Travail et travailleurs en Algérie. Ed Mouton . Paris-la Haye 1963. P 383.

8 - **Bendib Rachid** *:* « de la personnalité algérienne en particulier »1ere partie article paru dans "el Watan" le 16/5/2005 rubrique idées et débats

9 - عشراتي سليمان: الشخصية الجزائرية ،الأرضية التاريخية و المحددات الحضارية .ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 2007 .ص 84.

10 - أشار الرئيس بوتفليقة صراحة إلى هذه الخاصية و طلب من الجزائريين بصريح القول " عقلية الجزائريين يجب أن تغير..." و ذاك في خطابه الذي ألقاه من قسنطينة خلال زيارته التفقدية في 17 أفريل 2006 .

11 - Bourdieu Pierre & A. Darbel, J.-P. Rivet& C. Seibel: Travail et travailleurs en Algérie. Ed Mouton . Paris-la Haye 1963. P 383.

12 - Malou Jean : Sociologie du Maghreb. Ed., Plon. Paris, 1990, P.78 &125.

13 - Zghal Riad : « culture sociétale et culture d'entreprise » in culture d'entreprise. Ed .CRASC avril 1997. PP79-102.

14- للمزيد حول هذه النقطة أنظر : **حمدوش رشيد** : مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة؟ دار هومة .الجزائر 2009 . لاسيما الفصل الرابع . و إلى : **طالب الابراهيمي خولة** : "احنا ولاد دزاير نتاع الصح . ملاحظات حول لغة شباب باب الواد". مجلة إنسانيات . العدد 17 -18 ماي – ديسمبر 2002 .ص ص 7 – 17 .

15- هي أحدى نتائج البحث الميداني التي توصلت إليها مخداني نسيمة في دراستها الموسومة بـ الطلبة الجامعيون بين الثقافة العالمة و الثقافة الشعبية .دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامعة الجزائر. رسالة دكتوراه غير منشورة تخصص علم الاجتماع الثقافي . جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر السنة الجامعية 2006 – 2007 . لاسيما في الفصل الثالث من الباب الثاني ص ص 241 – 349 .

16 - Guerid Djamel : l'exception Algérienne . la modernisation à l'épreuve de la société. Ed casbah .2007. p 23.
17 - Bendib Rachid : « de la personnalité algérienne en particulier »2eme partie article paru dans "el Watan" le 17/5/2005 rubrique idées et débats.
18 - Guerid Djamel : l'exception Algérienne , la modernisation à l'épreuve de société . Ed casbah . Alger 2007. P 20.
19- مصطلح مقتبس من مقال " **رشيد جرموني**" : التحولات القيمية بالمغرب الشباب نموذجا. مجلة إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع. العدد 08 .خريف 2009 . ص ص 159 – 168.